

من مناهج علماء شبه القارة الهندية في بيان العقيدة الصحيحة: جهود الشيخ أحمد السرهندي نموذجاً

Ulama of the Indian subcontinent and their approaches to explain the correct belief: The contribution of Sheikh Ahmed Al-Sarhandi as a case study

د. منزه بتول*

ABSTRACT:

Mujaddid-e-Alfi Sani Shaikh Ahmad al-Fārūqī al-Sirhindī (1564–1624) was an Indian Islamic scholar, a Hanafi jurist, and a prominent member of the Naqshbandī Sufi order. He has been described as a Mujaddid, meaning "the reviver" for his work in rejuvenating Islam and opposing the newly made religion of Din-i Ilahi and other dissident opinions of Mughal emperor Akbar. Shaikh Ahmad Sirhindi's teaching emphasized the inter-dependence of both the Sufi path and sharia, stating that "what is outside the path shown by the prophet is forbidden. Shaykh Ahmad Sirhindi advanced the notion of wahdat ash-shuhūd (oneness of appearance). According to this doctrine, the experience of unity between God and creation is purely subjective and occurs only in the mind of the Sufi who has reached the state of fana' fi Allah (to forget about everything except Almighty Allah). Sirhindi considered wahdat ash-shuhūd to be superior to wahdat al-wujūd (oneness of being), which he understood to be a preliminary step on the way to the Absolute Truth.

Key words: Shaikh Ahmad al-Fārūqī, wahdat ash-shuhūd, wahdat al-wujūd.

يهدف هذا البحث إبراز جهود العلماء المسلمين في شبه القارة الهندية في بيان العقيدة الإسلامية ودراسة مناهجهم عموماً ودراسة جهود الشيخ أحمد السرهندي خصوصاً. إعتنى علماء شبه القارة الهندية في نشر العلوم الدينية وخدمتها قديماً وحديثاً. ولقد بذلوا الجهود المباركة في بيان العقيدة الإسلامية وشرحها وفي الدعوة إليها. ولقد أدت هذه الجهود إلى نجاح الدعوة الإسلامية في هذه المنطقة بحيث نجد أن المسلمين في شبه القارة يمثلون أكبر جالية إسلامية في العالم. ونجد أن كلما تعرضت العقيدة الإسلامية للهجوم الفكري من الداخل أو الخارج جعل الله سبحانه وتعالى من علمائنا من قام بالدفاع عن العقيدة الصحيحة والرد على الشبهات حولها ولا يمكن حصر هذه الجهود في مثل هذه المحاولة الناقصة الضئيلة ولكني حاولت أن أختار نموذجاً من بين علماء شبه القارة ألا وهو جهود الشيخ أحمد السرهندي لما له من فضل السبق في هذا المجال. ويتناول أولاً ترجمة حيات الشيخ، ثانياً نبذة عن عصره وثالثاً جهود الشيخ في بيان العقيدة الصحيحة من خلال مخطوطاته ومؤلفاته ومن خلال المصادر التاريخية المعاصرة للشيخ وأخيراً تقييم جهود الشيخ ومدى تأثيره على الفكر الإسلامي في شبه القارة الهندية.

ترجمة حيات الشيخ:

*Assistant Professor, Faculty of Usool-ud-Din, International Islamic University, Islamabad.
Email: munazza.batool@iiu.edu.pk

هو الشيخ احمد بن عبد الاحد بن زين الدين الفاروقي¹ النقشبندي السرهندي المنسوب إلى سرهند مدينة تقع بين دلهي ولاهور ومولده ووفاته فيها وقد لقب بمجدد الألف الثاني للهجرة. يقول صاحب نزهة الخواطر مترجماً له: الإمام العارف بحر الحقائق والإسرار، محي السنة النبوية برهات العارفين والمحققين وحجة الاولياء والمتقين آية من آيات الله العظام ونادرة من نوادر الأيام، أخذ بيد العلم لما زلت به القدم وكاد يهوى مهاوى العدم فكان مجدد الألف الثاني برهانا ساطعاً على شرفية النوع الإنساني وهو احمد بن عبد الأحد السرهندي، ولد في بلدة سرهند في شوال 971 هـ و 1563 م وتوفي سنة 1034 هـ² بدأ الشيخ دراساته بحفظ كتاب الله تعالى وقرأ على أبيه أولاً واستفاد منه جما من العلوم ثم ارتحل إلى سيالكوت وتعلم على يد الشيخ المحقق كمال الدين الكشميري بعض المقولات وأخذ الحديث من الشيخ يعقوب المحدث الكشميري وكان أكبر المحدثين بالحرمين الشرفين واسند الحديث عنهم³

نبذة عن عصره:

اتفق العلماء المسلمين والمؤرخون على أن الإمام السرهندي قام بالدور الرائع في الدفاع عن الدين ونصرتة وصنع عهداً جديداً بما قام بالإصلاح واشتهر بلقب المجدد وظل ينوب هذا اللقب عن إسمه فما هذا التجديد والإصلاح؟ قد عاصر الشيخ عصر الفتن والإلحاد كما عبر عن ذلك في إحدى رسائله "لقد أصبح الإسلام أجنياً وعاجزاً لما تمكن الكفار من السلطة في زماننا ويسخر من الإسلام والمسلمين. تمارس وصايا الكفر علناً في حين يضطر المسلمون إلى عدم القيام بأوامر الدين بل يعاقبون على ذلك من قبل الحكام"⁴

ولا يمكن الإعتراف بجهود الشيخ في بيار العقيدة الإسلامية الصحيحة إلا إذ نتعرض لذلك الإضطراب الفكري و الفوضى العقدية التي ظهرت وانتشرت في الهند والبلدان المجاورة في العصر الذي عاش فيه الشيخ احمد السرهندي. ولقد أدت العوامل الكثيرة لتعرض هذه المنطقة لأنواع من الانحرافات العقدية من أهمها:

- أ: بعد الهند عن مركز الإسلام الديني والشفافي
- ب: عدم الإعتناء بنشر العلوم الشرعية على يد الحكام
- ج: بقاء أقلية المسلمين مغمورة في أكثرية غير إسلامية
- د: ظهور وتأثير الدعوات الهدامة والفرق الضالة المتطرفة في الإيران ومن هناك إلى بعض المناطق الهند الجنوبية وفي الكشمير-

وكان في مقدمة هذه الفرق التشيع المتطرف وإدعاءات النبوة بل في بعض الأحيان إدعاءات الألوهية وفكرة ألفية سوف نذكر بعض هذه الحركات على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

النقطوية ظهرت هذه الحركة في أسترآباد في الإيران على يد محمود البسيخواني في اوائل القرن التاسع وظلت تنمو حتى بلغ أتباعها الآلاف وأثرت تأثيراً كبيراً في الإيران ووصلت أيضاً في الهند وكانت عقائدهم عبارة عن الإلحاد والزندقة

والإباحة إذ اعتقدوا بقدوم العالم وأنكروا الحشر والنشور بمفهومها الإسلامي وقالوا بالتناسخ واعتقدوا أن القرآن من كلام النبي وأن الأحكام الشرعية هي آراء الرجال. فكانوا يستهزئون بالصلاة والحج والأضحية والصيام وأحكام الطهارة والغسل وأنكروا حرمة النساء المحرمات. وكان أساس عقيدة بسيخوان أن الدين الإسلامي أصبح منسوخاً وأن الإسلام قد قضى عمره بمرور ألف سنة وأن المدة ما بين نشأة الأرض وظهور البسيخواني ثمانية ألف سنة كانت النبوة محصورة في العرب وأن بعد ظهوره انتهت السيادة العربية فلا يبحث نبي إلا في الشعوب العجمية. وحينما قام شاه عباس الصفوي بالتنكيل والتقتيل والتشريد لأتباع هذه الفرقة نظراً لضررهم فكريهم منهم إلى الهند. وكان لهذه الفكرة الألفية أثر كبير في الهند والذي تمهد لمزيد من الحركات الضالّة المنحرفة.⁵

منها "حركة ذكرية" التي كانت قائمة على عقيدة إنتهاء نبوة محمد ﷺ عند إنتهاء الألف الأول من الهجرة وبداية نبوة جديدة لبداية الألف الثاني وقد ظهرت هذه الحركة على يد ملا محمد أتكى والذي ادعى النبوة وأنه من أفضل الأنبياء وخاتم النبيين. وكتب هذه الفرقة تحتوي على العبارات الصريحة التي تدل على عفا ندمهم المتطرفة والتي عبارة عن الإفتراء والباطل على الله ورسوله وابتدعوا كلمة جديدة وبدأوا يحجون حج خاص بهم في جبل مراد بدل حج بيت الله وكانت هذه الحركة سائدة في بعض مناطق بلوجستان وما زالت أقلية من هذه الطائفة موجودة في أنحاء هذا الجبل الذي جعلوه قبلة لهم في بلوجستان.⁶

وظهرت أيضاً الفرقة الروشنائية التي أسسها بابيزيد والذي كان يسمى نفسه ببر روشن وكان قد ادعى النبوة وكان يدعى أن جبريل ينزل عليه وكان يعتقد بوحدة الوجود وتناسخ الأرواح وأنكر إستقبال القبلة في الصلاة والطهارة وكان الهندوس أيضاً من مريديه وسمح لهم أن يعبدوا بطريقتهم.⁷

وخاصة ما قام به الملك الأكبر نفسه بإنشاء دين جديد. وبدأ في سنة 1575 بإنشاء مركز في فتحبور سكري والذي سماه عبادت خانة أي دار العبادة والذي كان في رأيه مركزاً للحوار والتقريب بين الآراء المختلفة وتوحيد الإسلام على مذهب واحد ولكن النتيجة كانت عكس ذلك. إذ كان العلماء الذين يجتمعون في هذا المركز يختلفون وكان النقاش يؤدي إلى إثارة مزيد من الاختلاف وكان في هذا الجوّ من الاختلاف أن أمكن الإمبراطور بتوقيع من العلماء الذين كانوا يجتمعون في هذا المركز أن يصدر الإعلان بكونه "الإمام العادل" الذي يجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية الدينية وهكذا تمهد الملك لإنشاء دينه الجديد الذي كان بزعمه سوف يجمع بين الأديان والأفكار ليقل الخلاف بين رعاياه.⁸

وسمى الملك أكبر هذا الدين الجديد "دين إلهي" وفرض على أتباعه أن يؤمنوا بأن أكبر هو خليفة الله على الأرض وأن يقدس الملك وأن يقدم له أتباعه كل ما يملكون من ثروة وحياة وشرف ودين وأن يسجدوا للملك وكان من طقوس هذا الدين الجديد المزعوم تقديس الشمس والنار ومنع من أكل لحم البقرة وما إلى ذلك من خرافات كثيرة. وكما هو يظهر من طقوس هذا الدين وشاعره أنه كان يتمثل في الأفكار المأخوذة من هنا وهناك وكان هذا دين عبارة عن تلفيق عناصر مختلفة بل متناقضة وكان من سوء حظ بعض الأمراء والذين كانوا من حوله أنهم اعتنقوه ولم يبق إلا مرقا صرا على معتنقي هذا

الإلحاد فقط بل بدأ الملك بالإدعاءات الباطلة فبعد أنه كان يرى نفسه خليفة الله بدأ يدعى الألوهية. وقد جمع حوله نفر من الدهريين والملاحدة والحواليين من كل مكان يساعدونه في إدعاءاته الباطلة. ولم يقفوا بهذه الإدعاءات فقط بل بدأوا يسخرون من شعائر الإسلام والمسلمين والمؤرخين المعاصرين أوردوا كثيرا من التفاصيل في بيان هذا الإلحاد. ومن الأمور المسجلة لهذه الحركة الأكبرية التي تدل على الإنحراف والتحول على يد أبو الفضل والذي كان وزيرا للملك وكان له دور كبير في تكوين وتطوير هذا الإلحاد الأكبري: عبادة النار، عبادة الشمس، السجود للملك، التقويم الإلهي الجديد، الإهتمام بالأعياد والمهرجانات غير الإسلامية، إلغاء الزكاة، إنكار المعجزات والإسراء والمعراج واستنكار الختان، المنع من الصلاة والإستهزاء بأركان الإسلام وفرائضه.⁹

بالإضافة إلى هذه الحركات الضالّة نجد أن التصوف في الهند كان قد أصبح خليطا من الشريعة والفلسفة والسنة واليوكا. وظهرت بعض الطرق الصوفية التي كانت تجمع بين طرق اليوكا والأذكار الإسلامية وبعضها كانت أقرب إلى المرتاضين اليوكيين مما كانت من الإسلام وأمثلة ذلك كثيرة منها الصوفية الغير المتشعبة مثل الجلالية والمدارية والملنكية. ويمكن الإطلاع على مدى تأثير الفلسفات والممارسات الهندية من خلال بعض الكتب الصوفية التي ظهرت في ذلك العصر فمثلا كتاب "جواهر خمسة" و"بجر الحياة" لمحمد غوث كواليارى تدل على مزج الأفكار الهندية بالتصوف الإسلامي. وكان الشيخ قد أدرك هذه الأخطاء الفكرية والعقدية وعبر عن ذلك قائلا: لقد كثر البدع والمحدثات حتى ليخيل للناظر أن مجرا من الظلمات تتلاطم أمواجه.

جهود الشيخ في بيان العقيدة الصحيحة:

و اهتم الشيخ ببيان العقيدة السليمة خاصة في الأمور التي مازالت موضع خلاف ونقاش بين الفرق المختلفة من الصوفية والمتكلمين من خلال رسائله منها: رد الروافض، المبدأ والمعاد، رسائله تهليلية، مكاشفات غيبية، رسالة في إثبات النبوة، آداب المريدين، شرح رباعيات أستاذه خواجه باقى بالله، وأشهر آثاره الفكرية مجموعة رسائله المعروفة بإسم "مكتوبات" التي أرسلها إلى تلاميذه ومريديه وإلى بعض الشخصيات من العلماء والأمراء والصوفية. وعدد هذه الرسائل 536. وفي ما يلي نبذة عن أهم ما قدمه الشيخ في بيان العقيدة السليمة:

أ: إصلاح فكرة التوحيد وتنقيتها من شوائب الحلول والإلتحاد:

لعل من أهم ما قدمه الشيخ في مجال العقيدة هو إصلاح فكرة التوحيد وتنقيتها من شوائب الحلول والإلتحاد ومن الجدير بالذكر أن الفكر الصوفي في شبه القارة قد ظل يتأرجح بين فكرة الحلول ووحدة الوجود على مر القرون قبل الشيخ. بالإضافة إلى ذلك شاعت الاستعارات الهندوسية والممارسات اليوجية مثل تمارين التنفس "براناياما" وطرق العبادة "أسانا" كانت قد أصبحت أرضية مشتركة في التصوف الإسلامي واليوجا الهندوسية آنذلك. والذي أدى إلى الخلط بين مفهوم التوحيد الإسلامي الخالص وبين فكرة الإلتحاد والحلول. ومع أن الشيخ اتصل منذ شبابه بكثير من الطرق الصوفية وخاصة الطريقة النقشبندية فقد

قام بإصلاح التصوف ولاسيما النزعات والأفكار الصوفية القائلة بوحدة الوجود. وذلك لأن الكثير من الصوفية في عصره تأثروا بالأفكار الهندوسية وأخذوا الكثير من عقائدهم وممارساتهم وشاعت بينهم الأفكار الخاطئة مثل وحدة الوجود والحلول والائتقاد فركز الشيخ على تنفيذ هذه الآراء والرد عليها وخاصة ناقش آراء محي الدين بن العربي في وحدة الوجود ورسائل الشيخ ومكتوباته مليئة بأدلة التي تهاجم فكرة وحدة الوجود وقد أمكن للشيخ أن يحارب تلك الأفكار الصوفية من خلال تجاربه الذاتية إنزادي الشيخ بفكرة وحدة الشهود والتي أمكن الشيخ من خلاله أن ينقي الفكر الصوفي من كثير من الأخطاء العقدية في الاعتقاد عن الله سبحانه وتعالى -

وقد بين من خلال تجاربه الروحية أن التوحيد الذي يظهر في أثناء الطريق الصوفي إنما يكون عبارة عن تجربة علم اليقين وأنه هناك فرق بين العلم اليقين وعين اليقين وقسم هذه التجربة إلى قسمين: توحيد وجودي وتوحيد شهودي وأن التوحيد الوجودي هو أن يعلم السالك ويعتقد أن الموجود واحدا ويعتقد أن غيره معدوما أما التوحيد الشهودي هو مشاهدة الواحد يعني لا يكون مشهود السالك غير واحد وأنه لا يشهد أحدا سواهت ويبرهن على هذه التفرقة من خلال أمثلة كثيرة وتجاربه الروحية ويستنتج من خلاله القول بأن التوحيد الوجودي إن هو إلا عبارة عن الخيرة.¹⁰

وكان يرى الشيخ أن الذي جعله يتحدث في مثل هذه الأمور الغامضة هو "أن أكثر أبناء هذا الزمان قد تمسك بذيل التوحيد الوجودي بعضهم بالتقليد وبعضهم بمجرد العلم وبعضهم بالعلم الممزوج بالذوق ولو في الجملة وبعضهم بالإلتحاد والزندقة وصاروا يرون الكل من الحق بل يرون الكل حقا والذي يؤدي إلى القول بأن الكفر والإسلام لا فرق بينهما واستدل الشيخ على هذا القول من خلال تجربته الذاتية إذ يبين في إحدر رسائله بأنه كان قد تربى على نفس الفكرة القائلة بوحدة الوجود وأنه كان يعتقد بذلك إلى أن أدرك خطورة هذا القول وأنه كان لديه مثل هذه الأفكار وقد عبر عن ذلك في بعض رسائله التي أرسلها إلى شيخه في بعض الايات التي هو يسميها كلمات السكر:

أي دريغا کاین شریعت ملت اعلماء یست ملة ما کافری و ملة ترساء یست

کفر و ایمان زلف و روی آن بری زبهاء یست کفر و ایمان هر دو آن در راه مایکتای یست¹¹

وبعد ان كان يعتقد بهذا القول هداه الله سبحانه وتعالى وعرف من خلال ما يسميه المعرفة اللدنية أن نسبة الوحدة للصانع مع العالم ليست ثابتة فيقول: "هو تعالى ليس بمتحد بشئ من الاشياء هو هو تعالى وتقدس والعالم عالم، وهو تعالى منزه عن الكيف والكيفيات والعالم متمسم بميسم الكيف.... ولا يمكن أن يقال ان المنزه عن الكيف عين المكيف بالكيف وأن الواجب عين الممكن ولا يكون القديم عين الحادث وممتنع العدم عين جائز العدم أصلا."¹²

و من خلال هذا الإستدلال يبرهن على أن إنقلاب الحقائق محال عقلا وشرعا ومع أن العالم مظهر ومرآة للكمالات الأسماء والصفات ولكن المظهر ليس عين الظاهر والظل ليس نفس الأصل بالإضافة إلى إصلاح الفكر الصوفي قام الشيخ أحمد بنقد العقائد والممارسات التليفية السائدة آنذاك وأشار إلى أنه من الضروري إتاحة مجال كاف للإصلاح لأن الأفكار الخاطئة

قد أصبحت منتشرة في عامة الناس وخاصتهم. واتجه الشيخ بإصلاح الأفكار التلفيقية فيما يتعلق بفكرة الألوهية بين المسلمين والهندوس واعترض على المفكرين الهندوس القائلين بأن رام و رحيم. فهو لا ينتقد فقط النزعات التوفيقية الشائعة بين المسلمين، بل ينتقد أيضا التفسيرات التوافقية. وكانت مواقفه مؤثرة جدا في في بيان العقيدة الصحيحة وإحياء الإسلام في شبه القارة الهندية. واختار الشيخ منهج خاصا في بيان العقيدة السليمة فبدأ بكتابة الرسائل إلى العلماء والأمرء والصوفية وذلك بمقتضى عصره ونظرا لظروفه الخاصة به. و من خصائص منهج الشيخ في عرض العقيدة الاسلامية على الهندوس بأسلوب الحوار فمثلا الرسالة التي أرسلها إلى واحد هندوسي تدل على فهمه للعقائد الهندوسية ومناقشتها بأسلوب علمي خاص بالشيخ والذي قد لانجد نظيره عند علماء عصره في بيان العقيدة الصحيحة وعرضه على الكفار وهاهنا أورد جزء هذه الرسالة القيمة: "إن ربنا وربكم رب العالمين من السموت والأرضين والعلويين والسفليين واحد ليس كمثل شئ منزه عن الشبه والمثال مبرا عن الشكل وكل ما يمر على الخيال وكل من الأبوة والبنوة في حقه محال وليس للكفاءة والتمثال في حضرته مجال"¹³

وهكذا يفسر له أن الله تعالى ليس بزمني فإن الزمان مخلوقه وليس بمكاني لأن المكان من صنعه تعالى و بعد ان يشرح العقيدة الاسلامية في الإله يبين الأخطاء الموجودة لدى الهندوس ويقول: "ورام وكرشن وأمثالهما من آلهة الهندوس كلها من أحقر مخلوقاته... فإن رام ولد جسرت وأخو لكهنم وزوج سيتا فإذا كان رام غير قادر على حفظ زوجته فكيف يستطيع أن يساعد الغير".

ب: عناية الشيخ بإثبات النبوة والرسالة:

ولعل من أهم ما قدمه الشيخ بعد إصلاح العقيدة تجاه الخالق هو بيان عقيدة الرسالة و أهمية المعتقد بالنبي المخاتم عليه أفضل الصلوات والتحيات فقام بترسيخ جذور العقيدة بخلود الرسالة المحمدية في الوقت الذي ظهرت فيه الحركات مثل النقطوية والذكرية التي كانت تنادي بأن عهد النبوة المحمدية قد انقضى وأنه بمرور ألف سنة انقضت فترة الرسالة المحمدية. وكانت هذه الفكرة قد أثرت على أكبر الذي جاء بدينه الجديد للألف الجديدة.

ومن خصائص منهج الشيخ الإهتمام بإصلاح شأن الحكومة ورجالها إذ أدرك الشيخ أن الأمرء والملوك قدوة إذا صلحوا صلحت الرعية وإذا فسدوا فسد المجتمع¹⁴ الذي يقومون على شؤنه وكان بالفعل العصر الذي عاش الشيخ هو عصر الإلحاد والفتن. فنجد أن الوزير أبو الفضل وأصحابه من الفلاسفة كانوا يرون بعد الضرورة إلى النبي و كان الشيخ حينما قابل أبو الفضل وأخوه فيفي وتحدث معه في بعض النقاط في التفسير "سواطع الألهام"¹⁵ وجد أبو الفضل لا يرى بأن النبوة ضرورية وأن هذا الأمر شائع بين كثير من أصحابه اخذ يناقشه في هذا الامر بالشدة ولذلك نجد أنه عني عناية كبيرة بعقيدة النبوة وأرسل كثير من مکتوباته إلى العلماء والأمرء في بيان عقيدة النبوة عموما و بيان عقيدة ختم النبوة خصوصا وكذلك ألف كتابا في إثبات النبوة.

واتجه الإمام بنقد الفلاسفة والإشراقين الذين كانوا يدعون المعارف والكمالات و بين أنه لا طريق إلى هذه

الحقائق والمعارف إلا عن طريق أنبياء الله وكان نقده لهم نقدا علميا موضوعيا وبين أن المصدر الأساسي للعلم القطعي ليست التأملات العقلية ولا النور الباطني والمشاهدات والكشوفات بل أنبياء الله ووحيه المنزل فيقول في إحدى رسائله:

"إذا كان العقل يكفي للمعرفة الإلهية لما كان فلاسفة اليونان الذين جعلوا العقل إمامهم وقائدهم حيارى تائهين في الضلال وكانوا اعلم بالله وأعرف به عن غيرهم والحال أنهم أجهل الناس لذات الله عز وجل وصفاته وأسمائه إذ أنهم يرون الله تعالى وجودا يتسم بالتعطل والبطالة ولا يعتقدون أنه خلق شيئا سوى واحد هو العقل الفعال وقد كان صدوره من الله تعالى اضطرار لا عن قدرة واختيار"¹⁶

ثم يبرهن على ضعف هذه المقولة الفلسفية و أيضا يتسائل انه كيف يجوز تلقيهم بالحكماء والإقنياد بهم إذ عجز هؤلاء بالإعتراف بالإله القادر المطلق وبالتالي يهدم دليل المنحرفين من الدين في عصره بإستنادهم بالفلاسفة. وأثبت على منكري النبوة بأن العقول عاجزة قاصرة بدور نور النبوة وأن طور النبوة ومرتبها وراء العقل إذ الحقائق التي يعجز العقل عن إدراكها تأتي النبوة لتحقيقها وتثبيتها. ومع أن العقل حجة فهي ليست الحجة البالغة، إذ لا يصح بأن توزن الأحكام الشرعية في ميزان العقل وإن محاولة التطبيق بين العقل وبين الأحكام الشرعية والإلتزام به دائما حكم بكفاية العقل وإنكار للنبوة.

د: نقد الفلاسفة والعقلانيين:

ولما عاش الشيخ العصر الذي تسود فيه العقلانية وكانت تصريحات الفلسفة اليونانية أصبحت تعتبر من القطعيات البديهيات توجه الشيخ بأسلوب علمي إلى نقد العقل الخالص وأحكامه ويرى أنه مهما وصل الإنسان من صفاء النفس وإشراق الروح فإن الأحكام العقلية تتأثر دائما بصله هذا العقل بالجسم المادي وبالتالي لا يمكن أصلاً أن تكون أحكامه ونتائجه متحررة من قيود الوهم والخيال وتبقى موضع شك ولا يتحقق فيها الصدق. كما أنه تناول موضوع الكشف الخالص والإلهام الخالص وتبين أن صفاء النفس مرتبط بإتباع الأنبياء وأن الكشف لا يورث اليقين والطمأنينة ما لم يرافقه الإيمان.

هـ: الإمامة وموقف أهل السنة لدى الشيخ:

وكان يهتم الشيخ ببيان موقف أهل السنة والجماعة والعقيدة الصحيحة فيما يتعلق بنظرية الإمامة وبتفضيل الخلفاء الراشدين ومجبة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وكان ذلك موضوعاً لكثير من مكاتباته وذلك نظراً لما شاع الخلاف فيما يتعلق بفكرة الإمامة في عصره وخاصة لما أدى إلى ذلك النفوذ الشيعي من الخلط في مفهوم الإمامة، فأكد الشيخ بأنه من علامات أهل السنة والجماعة تفضيل الشيخين ومجبة الختتين إذ ثبت ذلك بإجماع الصحابة والتابعين فيقول في إحدى مكاتباته: "وتفضيل الشيخين ثابت بإجماع الصحابة والتابعين. كما نقل أكابر الأمة منهم الإمام الشافعي رحمه الله، وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري، إن تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على سائر الأمة امر قطعي، وقد ثبت عن علي كرم الله وجهه بالتواتر أنه كان يقول دائماً في زمن خلافته أمام الحزم الغفير من الناس أن أبا بكر وعمر أفضل هذه الأمة كما ذكره الذهبي".

وهكذا يورد أقوالاً كثيرة عن الصحابة والتابعين ويثبت أن القول بتفضيل الشيخين على سائر الصحابة قد بلغ من كثرة

الرواة الثقات حد التواتر وإنكاره إن هو إلا الجهل والتعصب كما أنه يؤكد على أن محبة علي وأهل البيت أيضا جزء من التسنن.

تقييم جهود الشيخ ومكانته في مجال العقيدة وإصلاحها:

وأخيرا من الضروري جدا أن ننظر إلى الشيخ أحمد السرهندي و جهوده بنظرة التقدير والإعتبار وذلك لما قام بدوره الإصلاحي في الوقت الذي عرف فيه الإنحرف العقدي على مستوى رجال الحكومة، فقام الشيخ بإعلاء كلمة الحق أمام الملك أكبرو الذي كان زعيما لأكبر فتنة الحادية في تاريخ الإسلام وذلك لأنه كان ملكا فلم يكن من عامة الناس حتى يقبض عليه بل نفسه كان صاحب الأمر وعلى العكس فإنه تمكن بإقناع الآخرين للدخول في مرطقته الأكبرية التي كانت قائمة على رفض جميع العقائد الإسلامية من التوحيد والنبوة والسمعيات وتدعو إلى كثير من العقائد والممارسات مثل عبادة الشمس والنار وما إلى ذلك من أمور تنافي العقيدة الإسلامية والشرعية.

فقام الشيخ بنقد هذه الإدعات الباطلة وكان الأسلوب الذي إختاره الشيخ لبيان العقيدة الإسلامية يدل على أنه خطط لهذا العمل الإصلاحي فبدأ بكتابة الرسائل إلى أصحاب السلطة والأمراء والعلماء في شأن بيان العقيدة والأخذ بالكتاب والسنة. وإنه لما لاحظ الإهتمام بالعلوم الفلسفية والعقلية قام ببيان عجز العقل الخالص ونقده. ومع أن الشيخ لم يترك مؤلفات مستقلة في جميع مباحث العقيدة فإن المتعمق في رسائله سوف يجد أن جل إهتمامه كانت القضايا العقدية التي كانت محورا للنقاش آنذاك بين الطوائف الصوفية أو الحركات الباطلة. فهذه الرسائل التي يبلغ عددها إلى خمسمائة وثلاثة وستون بعضها موجهة إلى أصحاب السلطة والأخرى إلى العلماء وبعضها إلى أصحاب الآراء الخاطئة ويقوم الشيخ فيها ببيان موقف أهل السنة والجماعة وأئمة السلف في أمور العقيدة ويجمع الشيخ بين أسلوب علمي وصوفي في شرح هذه الأمور العقدية.

واستمر الإمام طوال حياته في جهوده الإصلاحية من خلال التوجيه والإرشاد إلى ما كان الصحيح في الإعتقاد إلى أن تولى ابن الملك أكبر جهانكير أمور الدولة بعد وفات أبيه. والذي أدى إلى إعتقاله أيضا ولكن ظل الشيخ يقوم بعمله الإصلاحي وهو كان في السجن وكان قد مكث سنتين أو أكثر في السجن يواصل دعوته إلى التمسك بالعقيدة السليمة تجاه الله ورسوله وأكد على أهمية إتباع السنة والشرعية، إلى أن أدرك الملك عن مكانته الدينية وسمعته الشريفة وحكم بأن يطلق سراحه لما بلغت إليه من أحوال الشيخ وهو في السجن، إذ صار قطاع الطريق يصلون ويزكون نتيجة لتوجيه الشيخ وإرشادهم إلى الحق. الأمر الذي جعله يندم على قبض الشيخ وكان جهانكير قد أثر فيه موقف الإمام الحاسم في رفض السجدة التعظيمية للملك من قبل.

وأخيرا من الواجب علي كطالبة علم أن أشير إلى النقد الذي وجه إلى الشيخ أيضا، فقد أخذ علي الشيخ في بعض مقولاته أثناء بيانه لبعض الأحوال والكشوف التي كانت عبارة عن تجربته الروحية في تكيف ما يسميه هو بـ "عين اليقين" وكذلك اعترض عليه أنه يتحدث عن مرتبته ومقامه مثل مرتبة أصحاب النبي رضوان الله عليهم أجمعين وفيما يتحدث في إحدى رسائله عن الحقيقة المحمدية وحقيقة الكعبة وما إلى ذلك من عبارات وتعبيرات، فيمكن الجواب عنها وعن مثلها بوجوه:

أ) بأن هذه العبارات تحمل على معظم كلامه والذي هو عبارة عن بيان العقيدة الصحيحة

(ب) أنه لا يقصد بهذه العبارات عين المراد بها كما ذكر هو نفسه بأنه لا يذكر هذه الأحوال الخاصة إلا للمنفعة وهي إصلاح العقيدة تجاه المعبود وأنه لا يقصد من هذه الأحوال عين المراد

(ت) أن كل هذه العبارات التي تعبر عن الكشف والأحوال لا بد وأن ينظر إليها بنظرة الشيخ ومنهجته تجاه الأحوال فإن الشيخ نفسه كان يرى أنه مهما يبلغ الإنسان من الذوق والكشف فإنه من الواجب عليه أن لا يخرج من إطار الرسالة فيؤخذ بما يوافق الوحي أي القرآن والسنة ويترك ما دونه.

الهوامش

- ¹ كان فاروقي الأصل وقد أورد نسبه بدر الدين السرهندي في كتابه "حضرات القدس"
- ² أبجد العلوم للصدیق بن أحمد القنوجي دار الكتب العلمية، لبنان
- ³ كشف الظنون لحاجي خليفة، ص 225
- ⁴ أنظر مكتوب رقم الثالث والستون والمائة
- ⁵ أنظر ما ذكره صاحب الكتاب "دبستان المذاهب" فيما يتعلق بأفكار هذه الطائفة ص. 300
- ⁶ ومن بين الكتب المتداولة لهذه الفئة: شيخ عزيز لاری، سفرنامه مهدي، شاه محمد قندی، سیرجهانی، محمد اسحاق درزئی، ذکر الهی، وتقوم بنشر هذه الكتب رابطتهم في كراتشي التي تعرف بآل باكستان مسلم ذكری انجمن، كراتشي. "لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع انظر:
- ⁷ Tariq Ahmed. Religio- Political Ferment in the North West Frontier During the Mughal Period, The Raushniyah Movement (Delhi: Idara e Adabiat, 200)
- ⁸ ولعل أهم ما ألف فيما يتعلق بدراسة الأفكار الدينية لدى أكبر هو كتاب خلیق أحمد نظامی
- Nizami, Khaliq Ahmed. *Akbar and Religion* (Delhi: Idara e Adabiyat, / Makhan Lal Roy Choudhury. *The Din e Ilahi or the Religion of Akbar* (New Delhi: Munshi Manohar Lal Press 1952)
- ⁹ عبد القادر بدایونی، منتخب التواریخ، جزء 2، ص 225
- ¹⁰ أنظر المكتوب الثالث والأربعون، ص 56
- ¹¹ المكتوب الحادي والثلاثون، ص 42
- ¹² نفس المكتوب
- ¹³ المكتوب السابع والستون والمائة إلى هردة رام
- ¹⁴ المكتوب الرابع والأربعون إلى سيد فريد
- ¹⁵ التفسير الذي ألفه فيفي واشترط أن يكون هذا التفسير بلا نقطة
- ¹⁶ المكتوب رقم 23



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).